الدين النصيحة(١)

هذا لفظ حديث صحيح عن تميم الداري (٢) وبمعناه عن جرير بن عبد الله رواه البخاري (٣) ولفظ الحديث قال: «بايعت رسول الله ﷺ على إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم».

فدل الحديث على أن النصح لكل مسلم من الأمور المهمة حتى قرن بالصلاة والزكاة في المبايعة.

والنصح: أن تحرص على إيصال الخير لكل مسلم، وإبعاد الشر عنه بكل ما يمكن، ويدخل في ذلك تنبيهه للخير بتركه سهوًا أو عمدًا وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر وتبصيره بعيوبه.

وقد قال العلماء في تعريف النصح بما يقرب مما قررنا وذلك (إرادة الخير للمنصوح له).

ولكن أصبحت (٤) كلمة (نصح) وما يشتق منها أثقل من الجبال على قلوب الناس وأسماعهم، بل اعتبرها كثيرٌ منهم سُبَّة! فإذا قلت لإنسان: يا أخي، أريد أن أنصحك؟ ابتدرك قائلًا من قبل أن يسمع حرفًا واحدًا من نصيحتك: «انصح نفسك» وخصوصًا إذا كان الناصح فقيرًا والمنصوح غنيًا أو كان عاميًا

(١) صحيفة أم القرى العدد (٦٦٧)، في ١٢/ ٧/ ١٣٥٦ هـ.
(٢) أخرجه مسلم (٥٥)، من حديث تميم الداري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٣) أخرجه البخاري (٥٧، ٥٢٤).
(٤) في الأصل «أصبت».

والمنصوح عالمًا ولو في نظر نفسه. فلا تسل عما يلقى الناصح من التعنيف والتوبيخ والسب إن لم يضرب ويحقر!!

فلما تكبر الناس وفشا فيهم العجب بأنفسهم والغرور ورأى الناصحون من الأذى ما ضرهم ولم ينفع المنصوحين ترك أهل العلم النصيحة لأنها لا تقبل منهم، وأصبح أهل الدين في نظر الأغنياء وأهل علم الدنيا كالصفر على يسار العدد، لا قيمة له، بل أصبح وجودهم عالة وقذى في العيون وشجى في الحلوق حتى أصبح أحدهم يتمثل بقول الشاعر:

فلو أن قومي أكرموني وأتأقوا(١) ... سجالا بها أسقي الذين أساجل
كففت الأذى عما عشت عن حلمائهم ... وناضلت عن أعراضهم من يناضل
ولكن قومي عزهم سفهاؤهم ... على الرأي حتى ليس للرأي حامل
تظوهر بالعدوان واختيل بالغنى ... وشورك في الرأي الرجال الأماثل

وإنما كان هوان أهل الدين عند أولئك المغرورين المفتونين لقلة دينهم وفحوى قلوبهم منه وجهلهم به وعدم تعظيمهم له، زد على ذلك طمع أهل الدين أنفسهم في أهل الدنيا وركونهم إليهم وإظهارهم الحاجة والفاقة والحرص على ما في أيديهم.

ولو أن أهل الدين استغنوا عن أهل الدنيا كما استغنى أهل الدنيا عنهم وزهدوا فيما عندهم لكان قولهم مسموعًا، ورأيهم متبعًا ومحترمًا إذ كان

(١) التَّأَقُ: شدَّة الامْتِلاء. «لسان العرب» (تأق).

العلماء في القرون المفضلة كسفيان الثوري وابن عيينة والشافعي وابن حنبل وحسن البصري وأحزابهم[(١)] تسمع نصائحهم، ويعمل بأقوالهم، ويصبرون على الضراء صبر الكرام؛ ويصومون النهار ويقومون الليل وتشبعهم الكِسْرة، فأمثال هؤلاء حقًّا كان يسمع نصحهم، ويخشى خلافهم.

فقل لي -بربك - ماذا نعمل إذا كان الناس مقبلين على شهواتهم، تاركين أوامر ربهم كارهين للحق كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ جِئْنَـٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَـٰرِهُونَ﴾ [الزخرف:٧٨].

إن أهل الشهوات يكرهون كل من يحول بينهم وبينها ولو كان ألطف من النسيم العليل وأعذب من الماء السلسبيل. وهذا رسول الله ﷺ وهذه سنته أتراهم يحبونها ويعملون بها إلا فيما يوافق الهوى، ألم يقل رسول الله ﷺ: «إذا رأيت **شحًّا مطاعًا، وهوىً متبعًا، وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخويصة نفسك**»[(٢)].. الحديث أليس هذا هو الزمان الذي ينطبق عليه الحديث؟!

ونقول في جواب ذلك: لا بد من النصح لكل مسلم وتحمل الأذى في ذلك وإلا بطل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والنصح المقرون بالصلاة والزكاة، وعلينا أن ننصح سواء قُبِلَ منا أم لم يقبل، وسواء أوذينا في ذلك أو لم نؤذ، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ [العنكبوت: ١٠].

(١) أي من صار على نهجهم، وليس مقصود الشيخ رحمه الله التعصب والولاء لهم، فانتبه.

(٢) ضعيف: أخرجه أبو داود (٤٣٤١)، والترمذي (٣٠٥٨)، من حديث أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه، وضعفه الألباني في «ضعيف سنن الترمذي».

وكل ما قيل من تطاول الأغنياء على الفقراء وغير ذلك لا يمنع من النصح، لكن ينبغي أن يكون النصح سرًّا للخواص، فإن إعلان النصح فضيحة، وتركه لنيل ما عند المنصوح من دنيا بخس واشتراء بآيات الله ثمنًا قليلًا.

فإذا تحقق الناصح من عدم قبول نصحه أو نزول ضرر به فله حينئذ أن يسكت وينكر بقلبه، والله الهادي إلى سواء السبيل.

❊